في تدبير ما يعمله نهارا وكان من عادته اذا دخل
احد في طاعته لم يعامله الا بالاحسان وكانت
الناس يأمنون ظلمه لعدله ويرجون رفده لكثرته
ولم يكن لمبطل ولا لصاحب هزل عنده نصيب
وكان اذا قال صدق واذا وعد وفا واذا
عاهد لم يخن واذا نازل بلدا واشرف على اخذه
ثم يطلب اهلها الامان يومنهم وكان جيشه
يتألمون لذلك لفوات حصتهم فما يمنعهم الا
موافقته وامتثال امره وكان رقيق القلب
جدا وزحام ضيق على مدينة واحاط بها فسمع بكاء
الحريم فتركها وانما يفعل ذلك بالمسلمين ورب
حاصر قوما ولم يمنع المبره عنهم ومشى معهم
على كذبهم ليأخذهم بالسهو له ثم يتبين له عزمهم
وكذبهم وهو مع ذلك يحلم عليهم ويراعي مصلحة
الدين ثم ان السلطان بعد فتح بيت المقدس
يتردد في السواحل يأخذ ما فيها من المدن والقلاع
والحصون فأخذ عاليها ثم عاود الفرنج بجموع

كثيرة

واستولوا على بعضها ثم طال الامر والتردد بين
الفريقين الى ان جرى الصلح بينهما على ان كل من بيده
شيء يستمر في يده ويمشي الناس بعضهم الى بعض بالامان
والبيع والشرا الى غير ذلك ورأى السلطان صلاح الدين
المصلحة للمسلمين في هذا فان العساكر قد ضجرت
من كثرة القتال والحصار خصوصا في زمن الشتا
مع كثرة الامطار والوحل الشديد وشدة الرياح
العاصفة وتم الصلح على ذلك وقد جرى في علم
الله تعالى ان المصلحة في الصلح فانه اتفقت وفاة
السلطان بعد الصلح بمدة يسيرة فلو اتفق ذلك قبل
اتفاقه لكان الاسلام على خطر عظيم ثم اعطى
العساكر الاذن في الانصراف فتوجهوا الى بلاده
وكان ذلك في شعبان سنة ثمان وثمانين وخمسمايه
وتوجه السلطان الى زيارة بيت المقدس يتفقد
احواله واقام به مدة يعطي الناس العطايا العظيمة
من الاموال والاقطاعات الجيشية ثم ابرز
عزمه على التوجه والتردد في السواحل ليتفقد

كثيرة

Copyright © King Saud University